وضـجر المدينة وقلق اليومي والمعيش. فالمشاهد في **فـراق في طنجـة** وإن بدت في عموميتها بسيطة، فإنّها «تمتلك مقوّمات الحداثة لا بصفتها النفسية، وإنّما بصفتها الأخرى التي تجعل النّص غريباً على الرواية العربية التقليدية، شاقّاً عصا الطاعة عليها، منشغلاً بنفسه، طيّعاً لذاته، متوافقاً مع رغبات الموجودين فيه، أي الشخوص أو العاملين»[1].

ولذلك فمهما كانت مستويات البناء تقليدية، فإنّ ذلك لا يمنعنا في الختام من الاعتراف بأنّ **فراق في طنجـــة** روايةٌ راهنتْ على بعض «أسئلة التحوّل والمغايرة» ضـمن سياق سؤال الحداثة في الرواية المغربية. ويبقى أهم سؤال احتفت به الرواية، في نظرنا، هو سؤال المتعة الذي أفتقدته تجاربُ كثيرةٌ مِن التجارب الروائية المغربية خلال العقدين الأخيرين وتراهن الآن على تنصيبه في مقدّمة انشغالاتها الجمالية.

## مناقشة مداخلة عبد الحق لبيض

سأقدم مجموعة من الملاحظات حول هذه الرواية الهامة والمتميّزة وقد لاحظتُ أن الأخ عبد الحق لبيض قد لامس العديد من جوانبها المهمة.

**فراق في طنجة** رواية تختط لنفسها ثلاثة مسارات، وهي تتضافر مجتمعة لتشكيل العوامل الحكائية.

المسار الأول وأسميه: **البحث عن مادّة الكتابة**. ويبرز لنا في مطلع الرواية إذ نجد أنفسنا والراوي في طنجة يعيش مرارةَ فراق ماري له. وهو قد جاء إلى طنجة من العاصمة الرباط ليبحث عن مادّة للكتابة تعوّضه عن خيبة أمله «في سعادة مفقودة».

المسار الثاني: **تجربة للكتابة** وهي اللحظة التي يعيشها الراوي في الفندق حيث ينخرط في عالم الفندق وفضاء طنجة باعتبارها فضاء كلياً. فينسى، نسبياً، فراق ماري، ويصبح شخصيةً من شخصيات هذا الفضاء ويندمج في عالم لا يشغله سوى حدث واحد هو الاحتفال بليلة رأس السنة الميلادية، ويدخل في مغامرة مع فاطمة ويحبّ مريم كتعويض عن فراقه لماري.

المسار الثالث: **الأمر بالكتابة**. تستعجل مريم الراوي في الذهاب إلى بيت سليم لقضاء ليلة رأس السنة الميلادية وهو يحمل شرابه معه. وينتهي هذا المسار باحتراقٍ وفرار مريم بحقيبة النقود، وسقوط «أحمد» ودخوله إلى القرية في لحظة معيّنة. وفي المقهى يتبيّن ـ من أخبار الجريدة ـ وقوع جريمة، واختفاء مريم والمال والمدير والموظف جميعاً. ويأتي «الكوميسير» ليطلب منه كتابة ما حدث. ولا أعتقد أن هذه «نهاية بوليسية»، كما أشار الأخ عبد الحق لبيض في تدخله، ولكنّها بمثابة الأمر بالكتابة من خلال التجربة التي عاشها الراوي في فضاء طنجة.

داخل هذه المسارات الكبرى، والأخ عبد الحق لبيض قد لامس العديد منها، نجد هناك دوماً دعوةً إلى الكتابة بناءً على أمرياتٍ ما. فالكتابة هي بحث عن الذات وبحث عن المعنى. وفي هذا الجانب أرى أنّ الرواية تلتقي مع العديد من النصوص الروائية المغربية، وإنْ كان عبد الحي مودن يقدّمها لنا بخصوصية مختلفة وبلغة بسيطة وهادئة. وهنا أختلف مع عبد الحق لبيض في مسألة الراوي واللّغة. فالراوي الواحد وُظِّف هنا لقصديةٍ معيّنة، وهي رصد لحظة من لحظات تحوّل جيل بكامله وهذا الجيل يمكن أن نعثر عليه في العديد من النصوص الروائية المغربية الحديثة.

وداخل هذه المسارات الكبرى نجد العديد من التقابلات الجزئية: العلاقة ما بين الشرق والغرب، والمرأة والرجل، والمدينة والقرية، والحاضر والماضي... وإن كنّا لا نجد ماضياً وحاضراً وإنّما نجد قراءة للذات في كل مراحلها المستمرّة وهي متمركزة حول سلطة الأب. هذه العناصر جميعها تبيّن لنا أنّ هذه الرواية هي فعلاً إضافةٌ نوعيةٌ إلى الرواية المغربية وهمومها. وهي تسعى إلى أن تقدّم تجربة كتابية جديدة تبحث عن الذات في علاقتها بتاريخ تشكّلها وتطوّرها إلى الآن، وفي علاقتها بالمجتمع المغربي. ويبدو لي أنّ هذه هي السِّمة الأساسية التي تتميّز بها العديد من التجارب الروائية المغربية. ولا يسمح الوقت بالحديث عن العديد من العناصر الجمالية التي وظّفها الكاتب كما لاحظ ذلك، فعلاً، الأستاذ محمد برّادة والتي يمكن أن أختصرها في مصطلح «الاقتصاد الأدبي».

**سعيد يقطين**

١ ـ المصدر السابق، ص ٦٨.